

هفريات افامية*

بقلم فرنان ميانس

الاستاذ في جامعة لوفرن ، ومدبر هفريات افامية

كان « الشرق » قد اطلق قرأه^١ منذ السنة الاولى لهفريات افامية^٢ على قاريه تلك المدينة^٣ وكيف التقت اطلالها الطار النداء^٤ فتالت البعث البلجيكية التي يرئسها الاستاذ ميانس ؛ وذكر ما كان من نتائج الهفريات في السنوات الثلاث ١٩٣٠^٥ و ١٩٣١^٦ و ١٩٣٢^٧ (١ - وهذا ان مدير الهفريات نفسه يحددنا اليوم عن هفريات الستين ١٩٣٤^٨ و ١٩٣٥^٩ ملاحقاً نظرة اجمالية على موقع المدينة^{١٠} وتقلبات صرف الدر على ما ظهرت مما له تلك الاكتشافات. وهذا ملخص حديث:

نظيل في ذكر تأسيس هذه البعث ، وما كان في ذلك من فضل للاستاذ كومون (Cumont) بلقته نظر العلم البلجيكي الى اهمية اطلال افامية ؛ وما كان للجنة «الاعتماد الوطني للابحاث العلمية» من غيرة نمالة على تنفيذ هذه الفكرة^(١) . ولا نظيل في ما ولي ذلك من الهفريات المتتابعة ، في السنوات ١٩٣٠^٢ ، و ١٩٣١^٣ ، و ١٩٣٢^٤ ، و ١٩٣٤^٥ ، و ١٩٣٥^٦ ، مدة سبعة اسابيع من خريف كل سنة . والي اعرض عليكم اليوم نتائج ما اكتشفناه في هذه السنوات الخمس .

اما تزيخ افامية في العصور السحيقة ، نستند فيه الى معلومات قليلة ، بل الى اشارات وردت عرضاً في آثار القدماء ، نعرف منها ان اسم المدينة الاقدم كان « قرناكه » . ثم دُعيت « بيلا » على عهد المقدونيين . حتى كبرها وجعلها سلوقوس نيقاطور ، وسأها « افامية » ، باسم ابرائه . وجعل فيها متروحة

(*) منغص معاصرة من معاضرات « عهد الآداب الشرقية » ، في فرع « تاريخ سورية وفتية وآثارها »

- (١) راجع : فرواد افرام البستاني : مدينة افامية واهمية اطلالها (الشرق) ٢٩ [١٩٣١] ١٠-١٨ ، واطلب ايضاً المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ٧٠ ؛ ٣١ [١٩٣٢] ٧٢
(٢) راجع ، في ذلك ، المشرق ٢٩ [١٩٣١] ١٢-١٤

للبيعة والحيرل والمون والذخائر . وقد قال اسطرابون انه كان لسوقوس فيها ٣٠٠ جواد من كرام الفحول و ٣٠,٠٠٠ فرس انثى .
 ويأتي العصر الروماني ، فلا نضع لها ذكراً الا ما جاء مرضاً، كما في قول
 شيترون ذاكراً سييلوس باسوس وما قاساه من الحصار في اقامية .
 اما في صدر النصرانية فكانت المدينة لا تزال على اهميتها وازدهارها ،
 وقد اصبحت مركز اسقفية . حتى كان القرن السادس ، وقد اشتدت الحروب
 في اراسطه بين يوستينانوس قيصر وكسرى الثاني ، فدخلها هذا سنة ٥١٠ ،
 واخربها .

وفي السنة ٦٣٨ ، دخلها ابو عبيدة صلحاً على الجزية والحراج . ثم اخذت
 تضائل حتى كان القرن الثاني عشر، فحدثت فيه زلزلة قوية سنة ١١٢٥، وقوّضت
 ما بقي فيها من البنايات . وهكذا دخلت هذه المدينة الزاهرة قديماً على عهد
 اليرنان والرومان ، في ظلّ النيبان نحو ثمانية قرون . حتى قُتض لنا ان نكشف
 الستار عن بعض ما كان فيها . فذورها اليوم ، زيارة سريعة ، واقفين على ام
 ما ظهر لنا من آثارها الجليلة .

ولا بد من ان نشيعن اولاً برسم جوي يُظهر لنا تخطيط هذه المدينة ،
 فتلفت نظرنا نقطة بارزة تمثل قلّ المدينة القديم وقد كانت عليه قلعتها في العصور
 السحيقة ، تندفعنا الرغبة الى اجراء الحفريات فيه . ولكن الظروف تحول بيننا
 وبين تحقيق هذه الرغبة . ذلك ان على هذا التلّ قرية حديثة ، هي قرية قلعة
 المضيّق ، قامت على انقاض قلعة المدينة الاصلية واستخدمت حجارتها . واذا
 فليس لنا الا الانصراف عن هذا الموقع المهم . فانصرفنا الى منبسط شرقي التلّ،
 قامت عليه المدينة في العصر اليوناني ، واحاطت بها اسوار فيحة درسنا آثارها
 الباقية . وهي، في بنائها الحالي ، من العهد العربي ، الا انها قامت على اساس
 الاسوار القديمة . فدقّتنا على ان يحيطها كان يتجاوز ستة كيلومترات، وفيه
 ٢١ برجاً .

ولا يزال شيء من آثار الاسوار المرية في الجنوب الغربي من التلّ تدلّ
 على استناد بنائي ذلك العصر الى التناظر الضخمة في دعم الصروح والبروج .

وهناك في جنوبي المرقع خان كبير على شي . من الاهمية ، لانه مبني بما استل من حجارة المدينة القديمة . وفي الجنوب الشرقي بقايا مرشح فيج ذي متدرج كان الشاهدون فيه ينظرون جهة القلعة . ولم يبق شي . يذكر من هذا المرشح لان حجارته نُقلت ، كما نُقل غيرها ، الى بنايات احدث عهداً . على ان ما اجريناه من حفريات سبغت الانتقاض دللتنا على وجود الدوج ، واطهرت لنا بعض الزخارف ، كما انها اطلتتنا على دهليز تحت المثل نُقد مقفه بالحجارة .

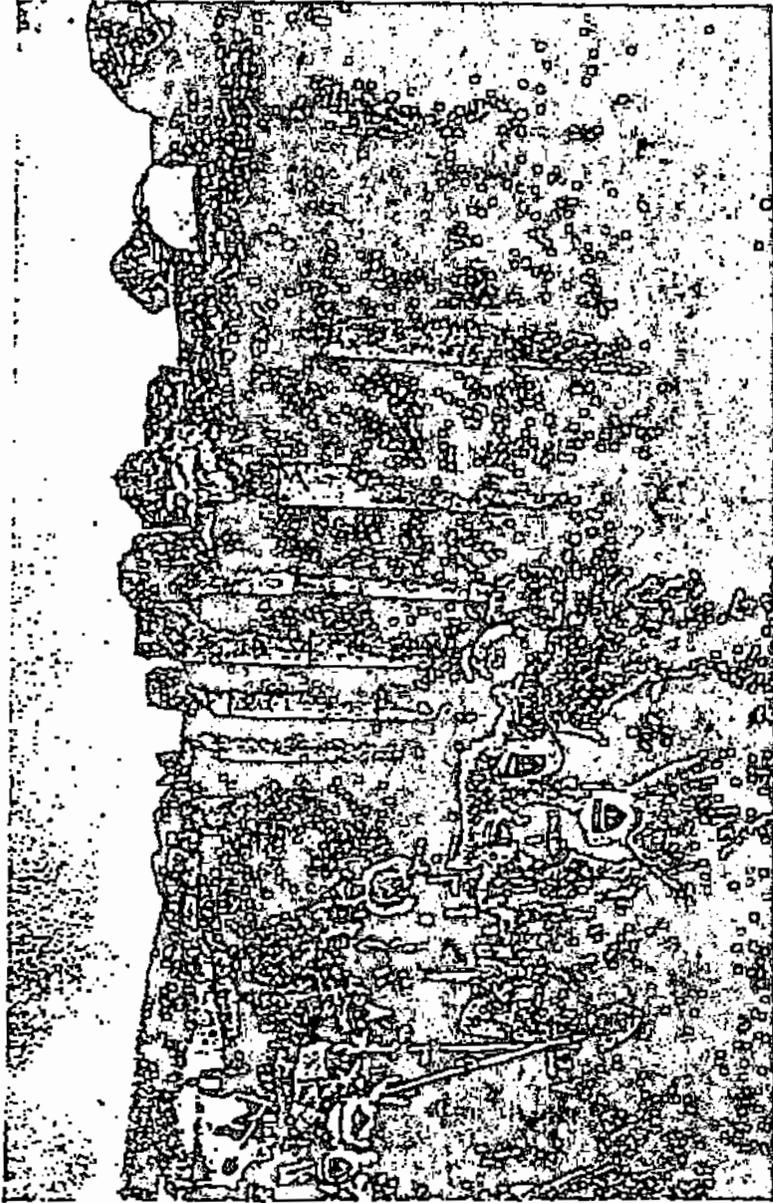
وقد امكنتنا ، على اثر حفريات سنة ١٩٣٢ ، ان نضع تصيباً للمدينة بكاملها . مقدرين مساحتها بـ ٢٥٠٠ هكتاراً (الرسم ١) ، يشق هذه المساحة من الشمال الى الجنوب شارع عظيم يسير مستقيماً من الباب الشمالي على طول نحو كيلومترين . الا ان آثاره تختفي ، على قرب مائتي متر تقريباً من الباب الجنوبي . اما عرض الشارع فيبلغ ٢٣ متراً . وقد اكتنفته عن الجانبين اعمدة ضخمة تسند اروقة تنوعت زخارفها ، واتسع عرضها الى سبعة امتار . وابتعد العمود عن الثاني نحو ثلاثة امتار ، فكان على جانبي ذلك الشارع نحو ١٢٠٠ عمود يبلغ ارتفاعها عشرة امتار . وكانت قواعد الاعمدة مطورة بعضها على عتق ٣ امتار ، واكثرها على عتق ٧,٥٠ امتار . وقد حُفرت الحنادق الواسعة حتى كُشف عنها (الرسم ٢) .

وكانت تتفرع ، عن هذا الشارع الاعظم ، شوارع ثنوية تفصل على زوايا منتظمة من الشرق الى الغرب ، ويقطعها شوارع ثنوية تسير من الشمال الى الجنوب موازية للشارع الاعظم . وقد اصبح من المقرر ان هذا التصميم في بنا المدن ، باقية من شوارع متوازية متقاطعة ، مشتق بين المدن السورية القديمة جميعاً . ويرقى به بعض العلماء الى العهد اليوناني . فاذا ثبت هذا الفرض ، نتج ان الرومان اكتفوا بالتوسع بذلك التصميم السابق .

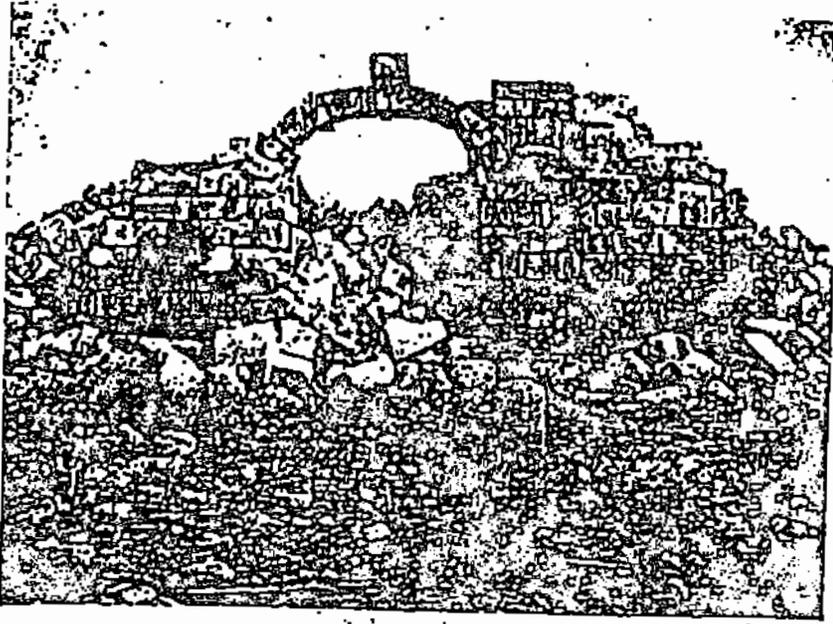
ولا يخفى انه لم يكن ممكناً ان نحفر عن الاعمدة ، على طول الشارع الاعظم ، وهو عمل يكلف ما يفوق طاقتنا ، فاكفينا بسير زوايا الشوارع والمنطقات ، وما رأيناه جديراً بالدرس من آثار الابنية العامة ، والمنازل المهمة ، اعتباراً من الباب الشمالي ، وحوله سور حسن البناء لا يزال محفوظاً في بعض



الرسم ١ - مخطط أفقية ، وهو معقول في شتيف برول . وتظهر في أعلاه المدينة الرومانية التي تبلغ مساحتها ٢٥٠ مكافرا .
رئي اسفل الرسم ، على ثلث - شتيف شرف على سهل النامي ، ينام - مخطط القلعة ، وقد قامت على القرية الحاضرة .



الرسم ٢ - منظر بين الامم المسمورة

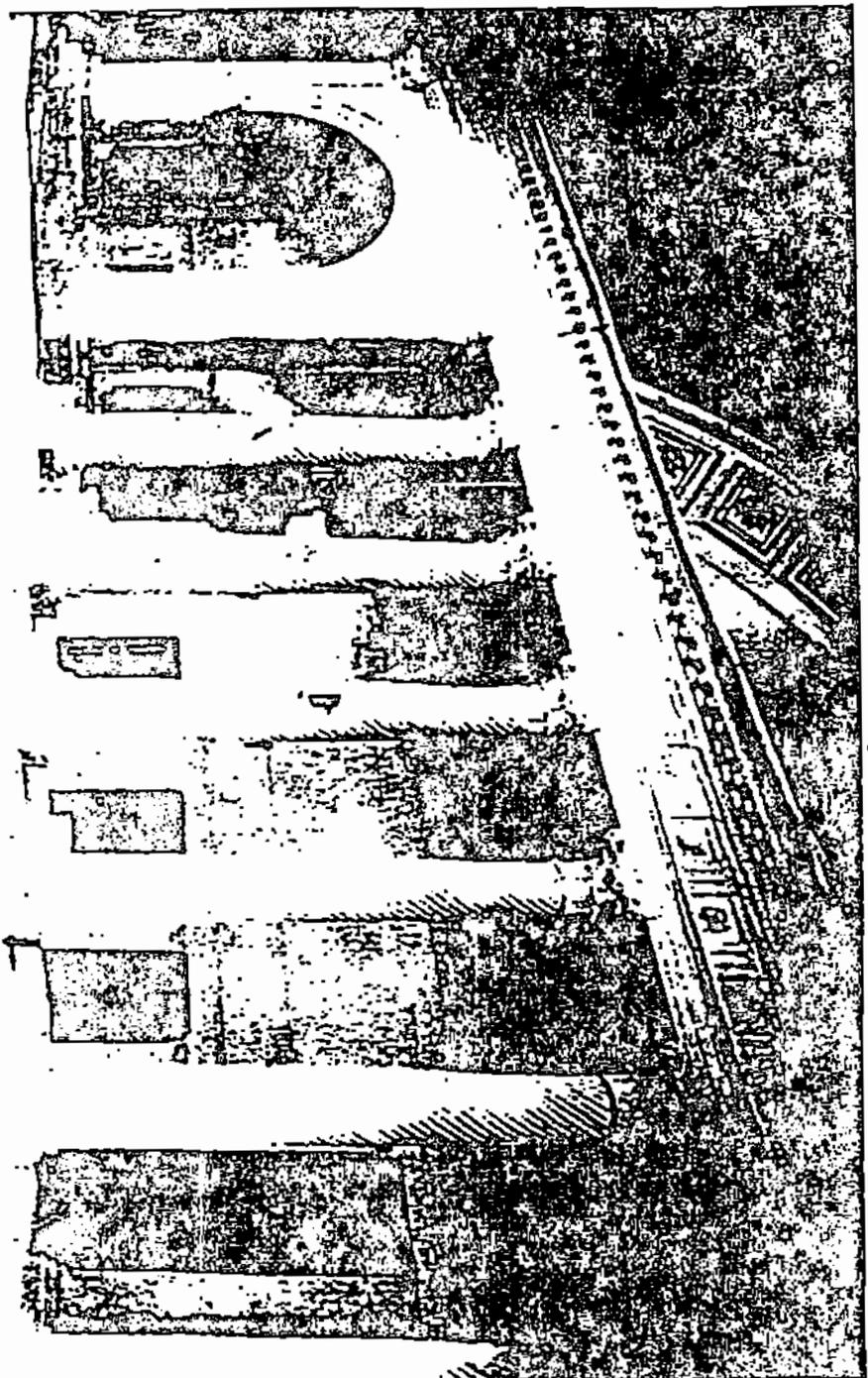


الرسم ٣ - اطلال الباب الثاني



الرسم ٤ - الامدة المنتهية الاصلاح

الرسم ٥ - مشهد الحرم النبوي الشريف بالربيع الاكبر ، وقد أهدى بناؤها في سنة ١٠٠٠ هـ



اجزائه الى علو ثمانية او عشرة امتار . اما الباب الشمالي نفسه فلا يزال ظاهراً على شكل طراً عليه شي . من التحوير في المصور المتأخرة ، وكان في بنائه الروماني يتألف من قنطرة شاهقة ، لا تزال قائمة حتى اليوم (الرسم ٣) تستند الى ركنين مربعين يزينها عمودان داخليان من النوع الكورنثي . وقد رُمم الباب في العصر البيزنطي . فاحتفظ المرممون بالقنطرة ، إلا أنهم تراجعوا ، في اساس ركنيها نحو ثلاثة امتار عن الاس الروماني . وقد استخدموا في ذلك الحجارة الرومانية نفسها . وولي هذا العهد ترميمات مختلفة استخدمت فيها كلها الحجارة الرومانية ، ولم يُز من زخارف المصور المتأخرة الأعمودين ضميمي الصنعة . اذا تجاوزنا هذا الباب الشمالي ، بدت لنا آثار رواق متهدم بكامله ؛ وقد بقيت حجارته على وجه الارض ، فوقنا عليها دون صرية . وكنا نضطر ، في الوقوف على غيرها من المصور نفسه ، الى التزول بالخفر الى عدة امتار (راجع الرسم ٢) . ولا غرابة في هذا الاختلاف في مستوى الارض . فان عمل السنين في نقل التراب ، وما تعاقب على الموقع الواحد من البنائات المتتابعة ، وقد كثر فيها استعمال الحجارة القديمة ونقلها من مستوى الى مستوى ؛ كل ذلك ادى الى هذا الاختلاف ، حتى اننا لنجد آثاراً مسيحية على ستة او سبعة امتار تحت المستوى الحالي ، بينما نجد بعض الآثار اليونانية على ظاهر الارض .

بيد ان ما لاحظناه خاصة في الاروقة المحفوظة آثارها طول الشارع الاعظم انما هو الترتيب التام في الابواب والنوافذ والقناطر ، مما يدل على اهتمام بظهور الوحدة في ذلك التصميم ، وفي طريقة القيام به . وكانت الاعمدة المتتابعة ، تنفرج على مسافات متباعدة ، امام صرح كبير تطل واجهته على الشارع الاعظم ؛ كما انها كانت تنفرج فتفسح المكان للدخول في شارع جديد ، فتوقف ساحة في المفرق تكتنفها القناطر العالية الرشيقة . وقد يكون امام هذه القناطر اعمدة تولى انصافاً قذارية او عميدية عريضة القواعد مزخرفتها بالنقوش البارزة احياناً . وفي غيرها ، كانت الاعمدة تظهر مفتولة الاضلاع (الرسم ٤) على طريقة غاية في الاتقان . وما يجدر بالذكر ان مساند الاعمدة لم تقطع في حجارة مستقلة ، بل قد حُفرت في قطعة الصود نفسها . وهناك زخارف متنوعة في

تيجان الاعمدة والاعتاب اكثرها رزوس للبيدوز ، وبعض التثيلات الحجرية المتعلقة بالاله باخوس . على ان الرقم الكتابية قليلة جداً ، منها رقم باسم لوكيوس بن غايوس يوليوس اغريبا يشير الى ان سلفاءه نالوا رتبة شرف من الامبراطور اغسطس . ومنها رقميان ، على بعض الاعمدة ، يذكران الامبراطور مرقس اوزيليوس ، والامبراطور لوسيوس فيروس . واذا فان رواق الاعمدة كان لا يزال قائماً في منتصف القرن الثاني ، وقد ملك لوسيوس فيروس من السنة ١٦١ الى السنة ١٦٦ م .

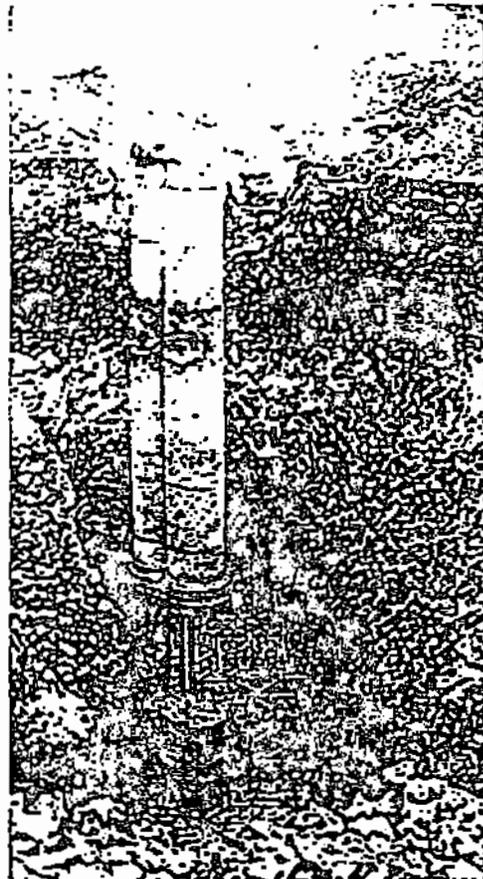
و بما يجب ذكره ايضاً الساحة العمومية الممتدة على طول ١٥٠ متراً ، وما يؤينها من اروقة تستند ، في الجهة الشمالية ، الى اعمدة تختلف من سائر الاعمدة ، فيبلغ قطرها ١٣٠ سنتيمتراً . وهذه الاعمدة وقمت ، بعد انحطاط المدينة ، على ما تراكم من البقايا . وكان وقوعها كلها نحو الوسط ، دالةً بذلك على ان سبب هذا الوقوع هزة ارضية مالت بها الى جهة واحدة ؛ وظلت في هيأتها حتى اليوم .

وقد بدا لنا ، منذ السنة ١٩٣١ ، بعد ان كشفنا القسم الاكبر من الشارع الاعظم ، ان نتمتع هذا القسم من المدينة ، فتميد تميله ، كما كان ، ونعرض على اهل عاصمتنا بروسل ، بمناسبة المرض العام . فاستندنا الاستناد الدقيق الى نتائج الحفريات بمقام معاوني ، المهندس لاكوست ، بصنع القوالب من الجص بادتاً بها في اقامة نفسها . ثم اتما وعرضها في بروسل ، على طول ٣٠ متراً ، وفي الرسم ، يبدو قسم منها .

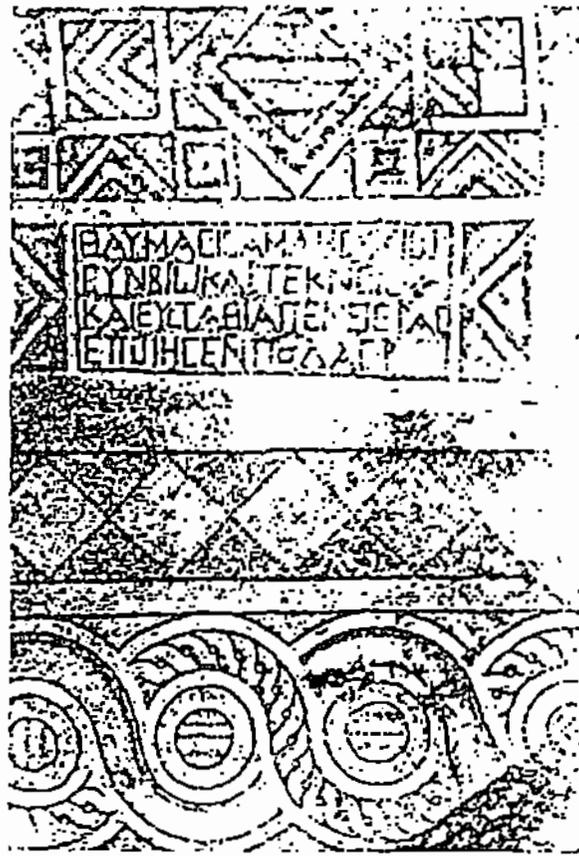
اشرفاً ، في ما مضى ، الى تغلب صروف الدهر على هذه المدينة ، والى ما كان من نتائج البنائيات في انحائها بعضها فوق البعض الآخر . فكان لا بد من ردم القسم الكبير منها ، ونقل الاعمدة البنائية من مكان الى مكان . ولا يزال امامنا شاهد مقنع في قلعة المضيق التي بُنيت كلها بمجارة المدينة القديمة . ولعل هذا هو السبب في خلو اطلالها من آثار الفن الدقيقة ، ومرافق الصناعة حتى العادية منها . فاننا لم نقف على شيء من ذلك ، كما اننا لم نقف على شيء .



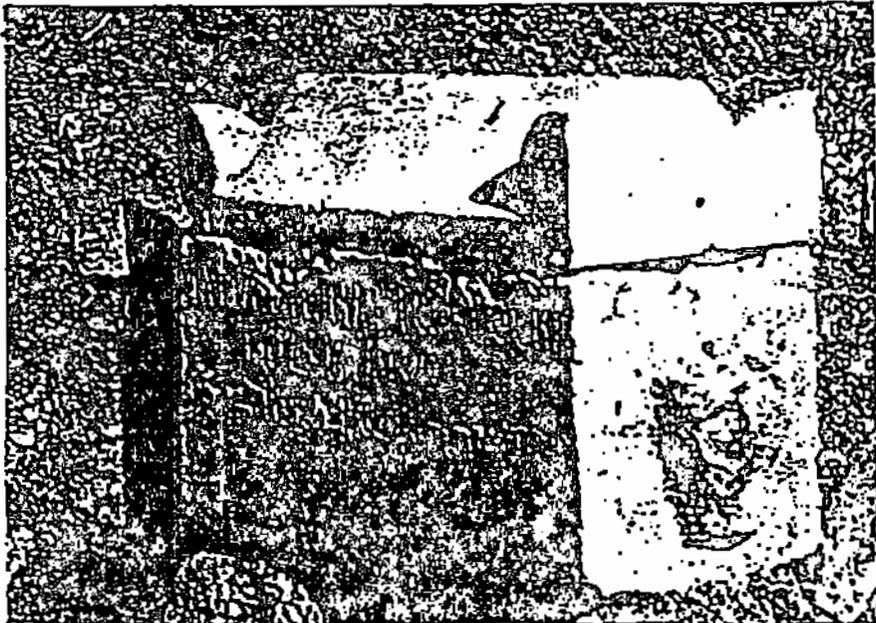
الرسم ٦ - تمثال من العهد البابلي يمثل بيبكه جالسة، وهو محفوظ في متحف دمشق



الرسم ٧ - منظر لقسم من الفيحاء التي كانت تغطي ارض النواع الاكبر



الرسم ٨ - قدم من القيسية المنطية ارض الكنيس اليهودي . والكتابة تشير الى ان احد السكان ، المدعو تومايس ، دفع من جيبه ثمن مائة متر مربع من القيسيا.



الرسم ٩ - بيت للذخائر وجد في الحلال إحدى الكنائس ، وقبه ذخائر القديسين تزما وديانوس

من الحلي، والحجارة الكريمة، والمصوغات الثينة. وجل ما استخرجناه من آثار الن من بعض التماثيل البارزة المتعلقة بالعبادات الخيرية، عرفنا بينها تماثلاً لبخوس نفسه، وقد افسدته الايام، الا انه ظلّ معروفاً. وهو مرتدّ ثياباً شرقية. وهناك تماثل لليكودغوس، وقد حكم عليه بان يموت بين دوالي المنب، فاسطت بجسده، وقيدت اعضاءه. وهي كل ما وجدناه من الآثار الدالة على عبادات الاقدمين في افامية. وقد يكون النصارى اترفوا اكثرها عندما بنوا كنائسهم على انقاض الهياكل الوثنية.

وفوق ما تقدم ذكره، فقد وجدنا اثنا الحفريات بعض الآثار النحتية، ولكنها جميعاً من آثار الزخرف، واشهرها تماثل ضخم لجبار رابع، كأنه يحمل على يديه القسم الاعلى من البناء، وفي هذا يختلف عما نعهد في هذا النوع من الزخرف، اذ يُنمّل الانسان حاملاً حمله على كتفيه، لا على يديه. وقد خال بعضهم وجود أثر فنّ الشرق الاقصى في هذا التماثل، ولاسيما في ميلته المذكورة. والتماثل منحوت نحتاً بارزاً في صلبه من الحجر مربع يبلغ ضلعه ١٤٠ سنتيمتراً. ورأسه واعلى صدره ويده على غاية ما يمكن من الجلاء، حتى يمكن القول ان الرأس اتم ما اكتشف من نوعه من حيث تمثيل الواقع، والمبانة في اظهار التها.

وقد اكتشفنا كذلك، في الشارع الاعظم، ناروساً سورياً عليه نقوش من الجهتين تمثل آلهة الحب والانتصار. على ان وجود هذا الناروس مطروحاً في الشارع يدلّ على ان مقبرة المدينة القديمة قد بُنيت، ونُقل هذا الناروس فاستعمل حرضاً للمياه.

ومن مكتشفات السنة الفائتة عدد كبير من التماثيل الصغيرة ادخلت في احد الجدران مع مواد البناء، منها ما يُنمّل آلهة الحب والانتصار وبينها تماثل يسىكه جالسة (الرسم ٦)، ومنها ما يُنمّل اشخاصاً ملتجئين بالاردية. وشد ما كان سرورنا عندما وقعنا على قطع عديدة من الفيفاء رُصفت بها اروقة الشارع الاعظم، وكان اجملها قرب الرواق الغربي (الرسم ٧). اما موضوعاتها فستوحاة من الحياة الشرقية، وفي مقدمتها مشاهد الصيد. فهناك اسرد تعدو

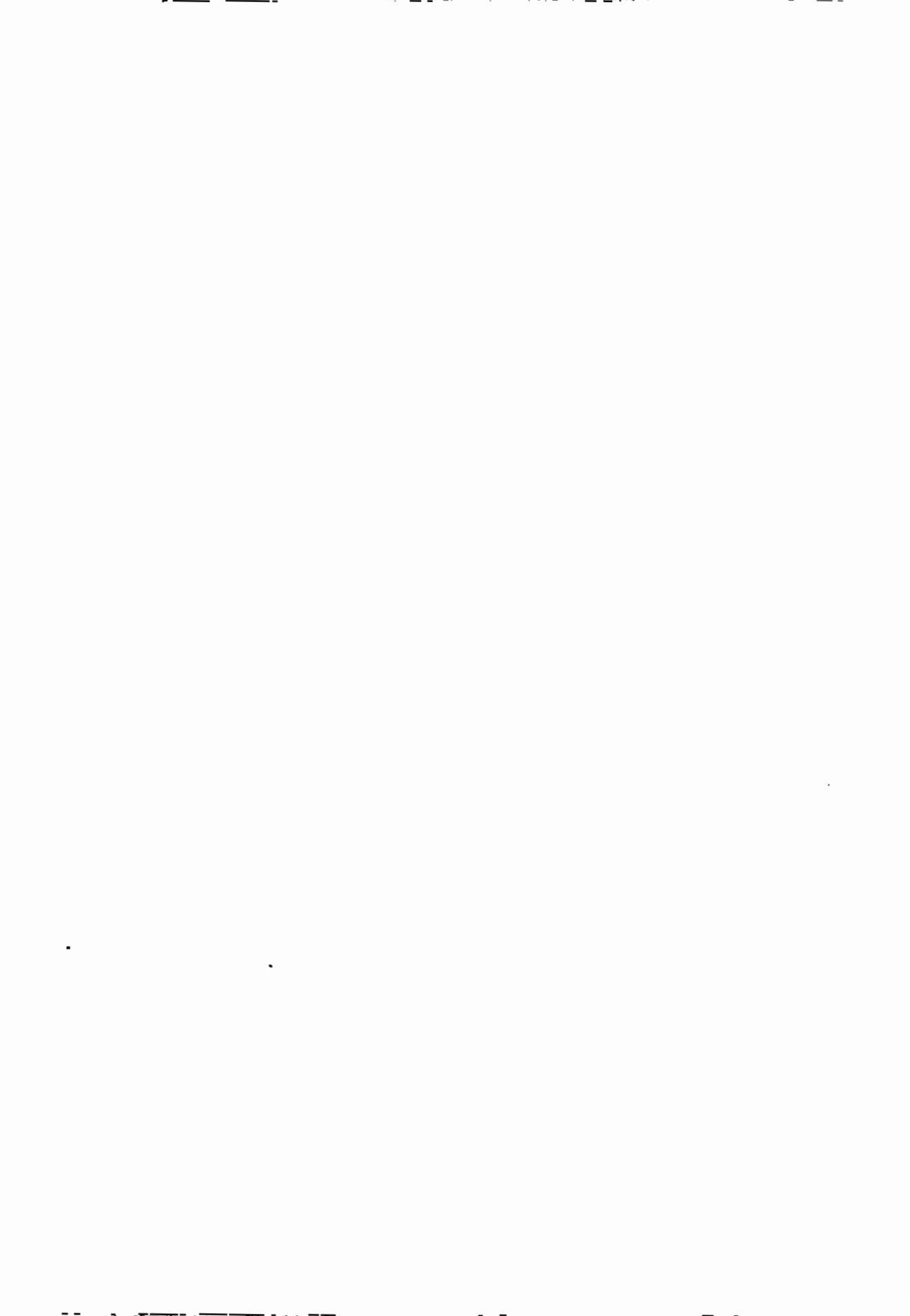
وراء الغزلان ، وهناك كلاب صيد وايائل ، وعدد من البط والاوز والحباريات ، و كلاب سلوقية راكضة وراء الطيور المختلفة . كل ذلك يظهر في مسارح مملوثة بالازهار المشبكية بما يقرب من منسرجات السجاد الشرقي . والجدير بالذكر ان هذه الحيوانات متجهة الى النواحي المختلفة ، حتى ان السائرين في تلك الأدوقة ، يرون ، كيفاً ساروا ، بعض المشاهد متجهة نحوهم . والى جنب مشاهد الصيد هذه ، مناظر اتخذت من الحياة العادية ، فكل بعضها توافل من الجمال متتابعة السير ، وقد غلقت الابراس الصغيرة في اعناقها ؛ ومثل بعضها ناعورة دقيقة الصنع ، دائرة حول مرتفع من الحجارة يصعد اليه بدوج ، كما هي الحال في نواحي حماة اليوم . وبقرها رجل تظهر عليه امائر التب كأنه ينتقب الارض او يتقيا .

وفي السنة الحاضرة زادت هذه المجموعة من النيفاء . بقطعة جديدة مثلت سبعة من الصيادين بعضهم على الخيل وبهضم رجالة ، يعدون وراء ارنب يرية وفهد .

اما زمن صنع هذه النيفاء فلنا عليه دليل واحد وهو ان احدى القطع تحمل تاريخ السنة ٥٣٦ للمسيح .

ومن المكتشفات الحديثة كنيسة يهودي بُني على انقاض هيكل قديم . وفيه قطعة نيفاء تحمل رقياً يشير الى ان احد السكان المدعو توماسيس دفع من ماله الخاص ثمن مائة متر مربع من النيفاء . (الرسم ٨)

ومنها كنيسة مسيحية كبيرة ، مربعة التصميم ، بُنيت على انقاض هيكل قديم كذلك ، محتفظة ببعض اركانه . وقد وجدنا تحت مذبحها ، على عمق ١٥٠ سنتيمتراً ، قطعة من النيفاء . ترقى ، دون شك ، الى العهد الوثني . ووجدنا كذلك عدداً من الآنية الحجرية تشبه النواويس الصغيرة ، الا ان في احد جوانبها مصرفاً للسوائل . قد ددنا طويلاً في معرفة الناية منها ، وملنا الى القول بانها امواض صغيرة لحفظ الماء . حتى اكتشفنا ، في السنة الفاتنة ، واحداً جديداً من هذه الآنية ، وعليه الرقم التالي : «هنا ذخائر القديسين قزما وديمانوس وغيرهما من القديسين .» نتحققنا ان تلك الآنية بيوت 'تحفظ' فيها الذخائر



قريش

مرة

بليقة

كلاب

مخزوم

زهرة

قصي

مر

مران

عبد الله

المنيرة

عيد

ملال

ابو حذاف
هاشم
ابو ربيعة
عمرو
القبه
هشام
حنس
ابو ابية

عبد الله (اسماء)

ابو جهل

عبد الله

عبد الرحمن

مر

الحارث

عكرمة

جوان

امة الواحد

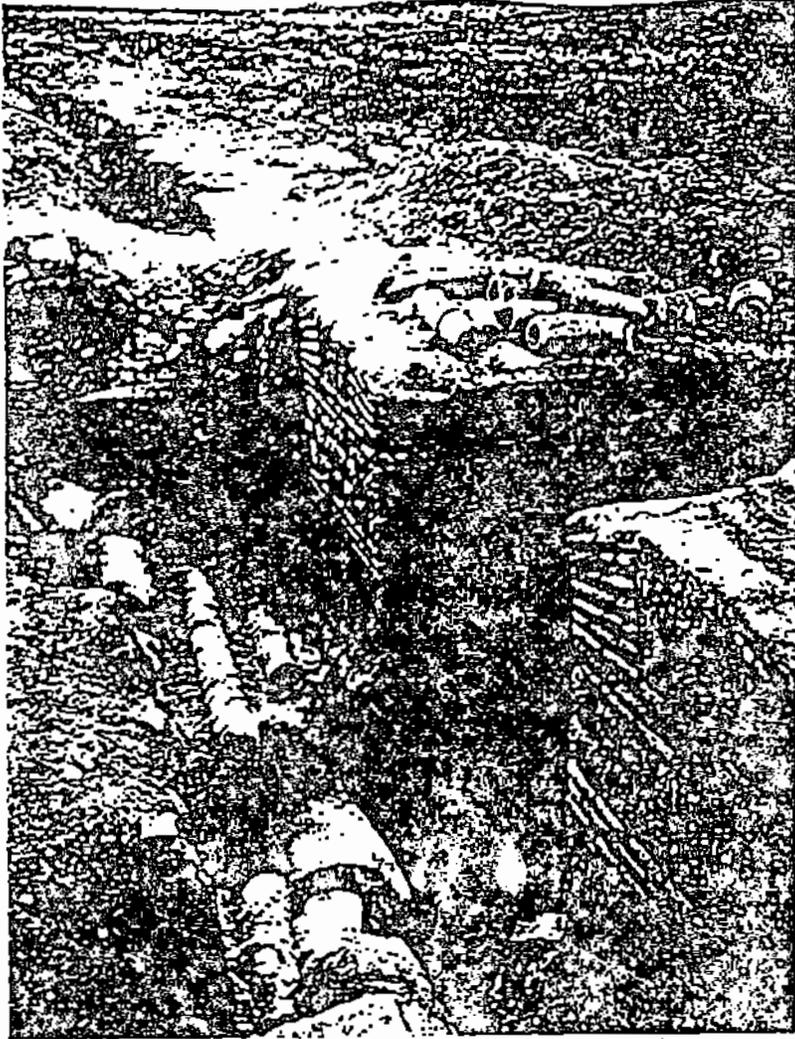
الزبير

مصعب بن

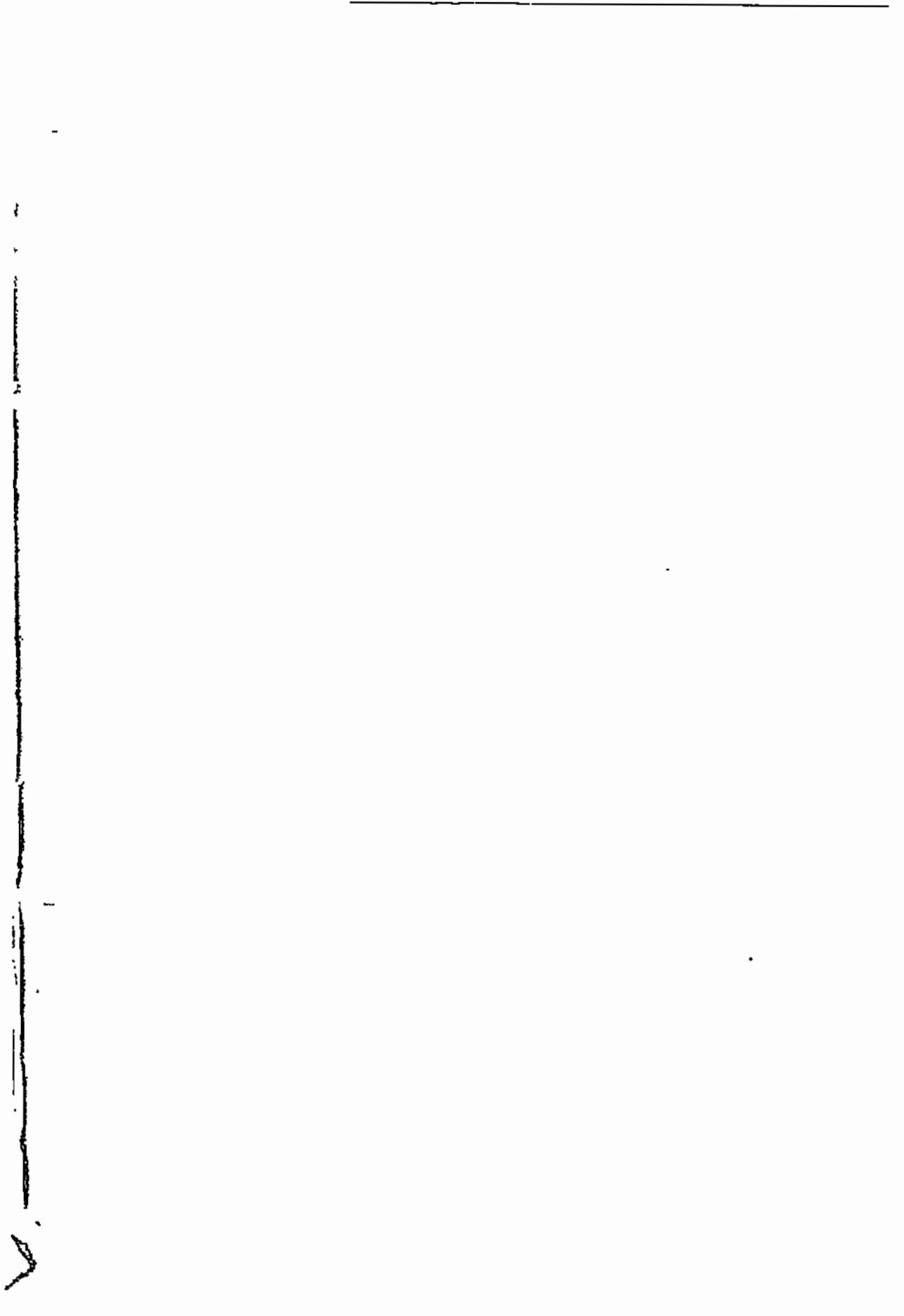
محمد بن

بنت زوجه من

جدول يظهر نسب بني مخزوم في قريش ، دون ان يتصلوا بقصي ، وفيه ذكر لاكثر الرجال والنساء



الرسم ١٠ - الأثنية الخجيرية المنقرعة تحت الأرض



المذكورة ، وتُستعمل لتبريك بعض السرائل من زيوت وغيرها ، فنسرت على البقايا المقدسة وتخرج من تلك المصارف التي اشرفنا اليها . (الرسم ٩)

بقي ان نشير الى آثار لا تقل اهمية ١٤ تقدم ، كما انها لا تقل دلالة على تقدم تلك المدينة في العمران ، وعلى مقدرة اهليها في المنسنة والصناعة ، الا وهي الاتنية الحجرية التي كانت تتفرع في ارض المدينة فتوزع الماء على انحائها المختلفة . لقد جرت المياه الى المدينة من نقطة بعيدة في اتنية سرقة كشفت الحفريات عن بعضها فرائنا قناة كبيرة رفعت ، في بعض الاماكن ، على قناطر ضخمة واركان قوية ، والى جنبها اتنية صغيرة تتفرغ عنها ار عن غيرها ، حتى وصل عددها في بعض الشوارع الى خمسة اتنية ، وكلها مستديرة تجري فيها المياه مغطاة . وقد بلغ قطر بعضها ١٥ سنتيمتراً . والعجب فيها ان كلها من الحجر المحفور حتى منرجاتها وزواياها ، وقد أحسنت . اشد احكام . (الرسم ١٠)

هذا ملخص ما وقفنا عليه من آثار افامية في المهدن الروماني والمسيحي . اما العهد اليوناني فلم نتسكن من ان ننسب اليه اثرًا يذكر . ولعلنا نقف في المستقبل على شيء من ذلك .

